سلسلة الحيّاة الطّيبة

أطيب العيش



أبو مُحَمَّد عَبْد الرَّحْمن

دار المواهب
للنشر و التوزيع

9000

دار المــواهب للنـــشر والتـــوزيع
عنوان الكتاب: أطيب العيش اســـم
المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن
الحجم: 17-12
عدد الصفحات: 74
رقم الإيـــداع القـــانوني:2158-2011
ردمك:0-70-930-9947-ISBN 978
سنة الطبع: 2011

العنوان: 04 شارع 05 جويلية-حي
البرتقال-الرويبة-الجزائر
هـ: 021855395
فاكس: 021855395
021854710
جوال: 0550452175
Bmelmawahib3@Gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أطيب العيش

أبو مُحَمَّد عَبْد الرَّحْمن

أطيب العيش

أطيب العيش أن تكافح في الحياة لتصل إلى أعلى المراتب، فإذا أعطيت تقبلت وشكرت، وإذا منعت رضيت وصبرت، وإذا أمرت ائتمرت، إذا نهيت انتهيت، وإذا أذنبت استغفرت.

فابتعد من رقعة الهوى، ونزعات النفس الأمارة بالسوء، وهمزات الشياطين، وفتن الدنيا وزينتها، سعادة وحلاوة ملؤها القناعة.

سعادة وحلاوة يتباعد بها عن الشح والتقتير، والبخل والإمساك، وتنطلق في معاني الكرم والإيثار والعطاء.

لكي تحصل على حياة أطيب عليك أن تحرص غاية الحرص على أن يكون عطاؤك لله، وحبك لله، وبغضك في الله، وشئونك كلها لله ﷻ، وذلك حتى لا تندم على خير صنعته، فقد تحسن إلى شخص غاية الإحسان ويقابل ذلك بمنتهى الجحود، فحتى لا تصدم بمعاملة السيئة، فعليك أن تخلص الأعمال كلها لله تعالى.

كتبه :

أبو مُحَمَّد عَبْد الرَّحْمن

العيش الطيب في الرضى

ذُكر في بعض مقامات العيش الطيب عن ابن شوذب قال: اجتمع مالك بن دينار، ومحمد بن واسع، فتذاكرا العيش، فقال مالك: "ما شيء أفضل من أن يكون للرجل غلة يعيش فيها". وقال محمد: طوبى لمن وجد غداء ولم يجد عشاء، ووجد عشاء ولم يجد غداء، وهو عن الله ﷻ راض، أو فقال: والله عنه راض.

حياة طيبة برضا الله ﷻ

ذكر أبا سليمان فقال: "إذا سلا العبد عن الشهوات فهو راض".

وقال أبو عمرو الكندي: "أغارت الروم على جواميس لبشير الطبري نحو من أربعمائة جاموس، قال: فاستركبني فركبت معه أنا وابن له، قال: فلقينا عبيده الذين كانوا مع الجواميس معهم عصيهم. قالوا: يا مولانا ذهبت الجواميس، فقال: وأنتم أيضاً

فاذهبوا معها فأنتم أحرار لوجه الله. فقال له ابنه: يا أباه أفقرتنا، فقال: اسكت يا بني إن ربي ﷻ اختبرني فأحببت أن أزيده.

درجات الرضى

ذكر في الأثر أن حفص بن حميد قال: كنت عند عبد الله بن المبارك بالكوفة حين ماتت امرأته، فسألته ما الرضا؟ قال: الرضا لا يتمنى خلاف حاله. فجاء أبو بكر بن عياش فعزى عبد الله، قال حفص: ولم أعرفه، فقال عبد الله: سله عما كنا فيه فسألته، فقال: من لم يتكلم بغير الرضا فهو راض، قال حفص: وسألت الفضيل بن عياض فقال: ذلك للخواص.

وذكر الديلمي العابد فقال: قلت للفضيل بن عياض: من الراضي عن الله؟ قال: الذي لا يحب أن يكون على غير منزلته التي جعل فيها.

وهذا حكيم بن جعفر يقول: سمعت أبا عبد الله البراثي، يقول: لن يرد الآخرة أرفع درجات من الراضين عن الله ﷻ على كل حال.

وعن أبي مجلز لاحق بن حميد قال: قال عمر ﷺ: "ما أبالي على أي حال أصبحت على ما أحب أو على ما أكره، لأني لا أدري، الخير فيما أحب أو فيما أكره.

❀ ❀ ❀

أطيب الناس عيشاً

يقول ابن القيم: كان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله ﷻ.

وأضاف ابن القيم قال: قال لي شيخ الإسلام ابن تيمية مرة وهو في السجن: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه، ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه، وقال: فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط، مع كل ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض، أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع

كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوة ويقينا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

الاستقامة في العيش

قال النووي في شرح صحيح مسلم في قوله ﷺ: «قل: اللهم أهدني وسددني، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، والسداد سداد السهم»، أما وسداد السهم: تقويمه، ومعنى سددني، أي: وفقني واجعلني منتصباً في جميع أموري مستقيماً، وأصل السداد الاستقامة، والقصد في الأمور، وأما الهدى هنا فهو الرشاد، ومعنى: اذكر بالهدى هدايتك الطريق والسداد سداد السهم، أي: تذكر في حال دعائك بهذين اللفظين، لأن هادي الطريق لا يزيغ عنه، ومسدد السهم يحرص على تقويمه، ولا يستقيم رميه حتى يقومه، وكذا الداعي ينبغي أن يحرص على تسديد علمه وتقويمه، ولزومه

السنة، وقيل: ليتذكر بهذا لفظ السداد، والهدى لئلا ينساه.

قال السيوطي في الديباج، في حديث «قل آمنت بالله ثم استقم».
آمنت بالله ثم استقم هذا من جوامع الكلم، وهو مطابق لقوله تعالى: "إنِ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا"، أي: وحدوه وآمنوا به ثم استقاموا، فلم يحيدوا عن توحيدهم والتزموا طاعته إلى أن توفوا على ذلك.

❁ ❁ ❁

الاستعانة على الصعاب بالعبادات

عن سعيد بن جبير، قال: الصبر اعتراف العبد لله بما أصاب فيه، واحتسابه عند الله ورجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو يتجلد، لا يرى منه إلا الصبر.[1]

وقال أبو العالية في قوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ على مرضاة الله ﷻ، واعلموا أنها من طاعة الله ﷻ. وأما قوله: (وَالصَّلاةِ) فإن الصلاة من أكبر العون على الثبات في الأمر.

كما قال تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: 45]

إذا حزبك أمر فصلّي

عن حذيفة ابن اليمان قال: كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى.[2] وفي رواية ابن جرير، من حديث حذيفة، قال: كان رسول

---

(1) ذكره ابن كثير في التفسير قال، وقال ابن المبارك عن ابن لهيعة عن ماللك بن دينار.

(2) رواه الإمام أحمد وأبو داود.

الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[1].

روى محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة: من حديث حذيفة قال: رجعت إلى النبي ﷺ ليلة الأحزاب، وهو مشتمل في شملة يصلي، وكان إذا حزبه أمر صلى. وروى عبيد الله بن معاذ، من حديث شعبة عن أبي إسحاق سمع حارثة بن مضرب سمع علياً ؓ يقول: لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا إلا نائم غير رسول الله ﷺ يصلي ويدعو حتى أصبح.

قال ابن جرير: وروي عنه، عليه الصلاة والسلام، أنه مر بأبي هريرة، وهو منبطح على بطنه، فقال له: أيوجعك بطنك، قال: نعم، قال: "قم فصل فإن الصلاة شفاء".[2]

وقال سنيد، عن حجاج، عن ابن جرير: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ قال: إنهما مَعُونتان على رحمة الله.

---

(1) رواه بعضهم عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة، ويقال: أخي حذيفة مرسلاً عن النبي ﷺ.

(2) ذكره الطبري وابن كثير وغيرهم.

والإرشاد إلى الاستعانة بالصلاة على الصبر، لأن العبد إما أن يكون في نعمة فيشكر عليها، أو في نقمة فيصبر عليها.

❁ ❁ ❁

وما يلقاها إلا الذين صبروا

قال جل في علاه: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت 34 – 35] أي: وما يلقى هذه الوصية إلا الذين صبروا ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا ﴾ أي: يؤتاها ويلهمها ﴿ إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾.

وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين

قال ابن كثير: وعلى كل تقدير، فقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴾ ، أي: مشقة ثقيلة إلا على الخاشعين.

قال ابن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنه: يعني المصدقين بما أنزل الله عز وجل. وقال مجاهد: المؤمنين حقاً.

وقال أبو العالية: إلا على الخاشعين الخائفين.

وقال مقاتل ابن حيان: إلا على الخاشعين يعني به المتواضعين.

وقال الضحاك: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ يعني: إنها لثقيلة إلا على الخاضعين للطاعته، الخائفين سطواته، المصدقين بوعده ووعيده.

وهذا يشبه ما جاء في الحديث: "لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه".

وقال ابن جرير: معنى الآية: واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب، بحبس أنفسكم على طاعة الله وبإقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر، المقربة من رضا الله عَزَّوَجَلَّ، العظيمة إقامتها إلا على المتواضعين لله المستكينين لطاعته المتذللين من مخافته.

كما جاء في الحديث: "عجبًا للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له: إن أصابته سراء، فشكر، كان خيرًا له؛ وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرًا له".

وبين تعالى أن أجود ما يستعان به على تحمل المصائب الصبر والصلاة، كما تقدم في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة].

أطيب العيش في الصيام

لقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: "يقول الله تعالى: كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به".

وفي لفظ :" كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها - قال الله تعالى- إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به"، وما ذاك إلا لأنه صبر النفس ومنعها من شهواتها. كما في الحديث نفسه: "يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجلي".

ولهذا قال النبي ﷺ لمن سأله عن أفضل الأعمال، قال: "عليك بالصوم فإنه لا عدل له"، ولما كان الصبر حبس النفس عن إجابة داعي الهوى، وكان هذا حقيقة الصوم فإنه حبس النفس عن إجابة داعي شهوة الطعام والشراب والشهوات، ولهذا سمي رمضان شهر الصبر.

الصوم نصف الصبر

قال بعض السلف: الصوم نصف الصبر، وذلك أن الصبر

حبس النفس عن إجابة داعي الشهوة والغضب، فإن النفس تشتهي الشيء لحصول اللذة بإدراكه، وتغضب لنفرتها من المؤلم لها والصوم صبر عن مقتضى الشهوة فقط، وهي شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب.

تعديل قوى الشهوة والغضب بالصوم

من تمام الصوم وكماله صبر النفس عن إجابة داعي الأمرين، وقد أشار إلى ذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح وهو قوله: "إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يجهل ولا يصخب فان أحد سابه أو شاتمه فليقل: إني صائم".

فأرشد ﷺ إلى تعديل قوى الشهوة والغضب، وأن الصائم ينبغي له أن يحتمي من إفسادهما لصومه فهذه تفسد صومه، وهذه تحبط أجره.

كما قال ﷺ في الحديث: "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه".

ولقد صح عنه ﷺ أنه عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فلم يأخذها، وقال: بل أجوع يوماً وأشبع يوماً، ولو أخذها لأنفقها في مرضات الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

واصبر لحكم ربك

ذهب الصابرون بخيري الدنيا والآخرة، لأنهم نالوا معية الله، قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور: 48] وهذا يتضمن الحراسة والكلاية، والحفظ للصبر لحكمه، وقد وعد الصابرين بثلاثة أشياء كل واحد خير من الدنيا وما عليها، وهي صلواته تعالى عليهم، ورحمته لهم، وتخصيصهم بالداية في قوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة] وهذا مفهم لحصر الهدى فيهم.

حقيقة السعادة

إن الكمال الإنساني في ثلاثة أمور: علوم يعرفها، وأعمال يعمل بها، وأحوال ترتب له على علومه وأعماله، وأفضل العلم والعمل والحال: العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعمل بمرضاته، وانجذاب القلب إليه بالحب والخوف والرجاء، فهذا أشرف ما في

الدنيا وجزاؤه أشرف ما في الآخرة وأجل المقاصد معرفة الله، ومحبته والأنس بقربه والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره، وهذا أجل سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا هو الغاية التي تطلب لذاتها، وإنما يشعر العبد تمام الشعور بأن ذلك عين السعادة إذا انكشف له الغطاء، وفارق الدنيا، ودخل الآخرة، وإلا فهو في الدنيا، وإن شعر بذلك بعض الشعور فليس شعوره به كاملاً للمعارضات التي عليه، والمحن التي امتحن بها، وإلا فليست السعادة في الحقيقة سوى ذلك.

وكل العلوم والمعارف نبع لهذه المعرفة مرادة لأجلها، وتفاوت العلوم في فضلها بحسب قرب إفضائها إلى هذه المعرفة وبعدها، فكل علم كان أقرب إفضاء إلى العلم بالله وأسمائه وصفاته فهو أعلى مما دونه، وكذلك حال القلب فكل حال كان أقرب إلى المقصود الذي خلق له فهو أشرف مما دونه.

وكذلك الأعمال فكل عمل كان أقرب إلى تحصيل هذا المقصود

وكان أفضل من غيره، وهكذا يجب أن يكون، فإنه كلما كان الشيء أقرب إلى الغاية كان أفضل من البعيد عنها فالعمل المعد للقلب المهيىء له لمعرفة الله وأسمائه وصفاته ومحبته وخوفه ورجائه أفضل مما ليس كذلك.[1]

❀ ❀ ❀

(1) كلام ابن الجوزي رحمه الله .

خير العيش في الصبر

مرض أبو بكر رضي الله عنه فذهبوا ليزوره، فقالوا: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رآني الطبيب، قالوا: فأي شيء قال لك؟ قال: قال إني فعال لما أريد.[1]

وعن مجاهد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وجدنا الصبر خير عيشنا.

وقال الحسن: الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

وقال عمر بن عبد العزيز: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاوضه مكانها الصبر، إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه. وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: سحابة صيف ثم تنقشع.

---

(1) رواه أحمد من حديث أبي السفر.

اتقي الله

في الأثر أن رجلاً عزى رجلاً في ابنه فقال: إنما يستوجب على الله وعده من صبر له بحقه، فلا تجمع إلى ما أصبت به من المصيبة الفجيعة بالأجر، فإنها أعظم المصيبتين عليك، وأنكى الرزيتين لك والسلام.

وعزى ابن أبي السماك رجلاً فقال: عليك بالصبر فبه يعمل من احتسب، وإليه يصبر من جزع.

أصيب مطرف بن عبد الله في ابن له، فأتاه قوم يعزونه، فخرج إليهم أحسن ما كان بشراً، ثم قال: إني لأستحي من الله أن أتضعضع لمصيبة.

قال عبيد بن عمير: ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب، ولكن الجزع القول السيئ والظن السيئ.

قال الحسين بن عبد العزيز الحروزي، قد مات ابن لي نفيس فقلت لأمه: اتقي الله واحتسبيه واصبري، فقالت: مصيبتي أعظم من أن أفسدها بالجزع.

وقال ابن الرومي: اصبري أيتها النفس، فإن الصبر أحجى،
ربما خاب رجاء، وأتى ما ليس يرجى.

❁ ❁ ❁

عش بالإيمان

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: الإيمان نصفان نصف صبر، ونصف شكر، ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله: ﴿فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [إبراهيم].

فعل المأمور وترك المحظور

الإيمان اسم لمجموع القول والعمل والنية، وهي ترجع إلى شطرين: فعل وترك، فالفعل هو العمل بطاعة الله، وهو حقيقة الشكر والترك هو الصبر عن المعصية والدين كله في هذين الشيئين، فعل المأمور وترك المحظور.

قول باللسان وعمل بالجوارح

الإيمان قول وعمل، والقول قول القلب، واللسان، والعمل عمل القلب والجوارح، وبيان ذلك أن من عرف الله بقلبه ولم يقر

بلسانه لم يكن مؤمناً، كما قال عن قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ [النمل: 14] وكما قال عن قوم عاد وقوم صالح: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [العنكبوت]

وقال موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء 102] فهؤلاء حصل قول القلب، وهو المعرفة والعلم، ولم يكونوا بذلك مؤمنين.

وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمناً، بل كان من المنافقين، وكذلك من عرف بقلبه وأقر بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمناً حتى يأتي بعمل القلب من الحب، والبغض، والموالاة، والمعاداة، فيحب الله ورسوله ويوالى أولياء الله ﷻ، ويعادى أعداءه، ويستسلم بقلبه لله وحده، وينقاد لمتابعة رسوله وطاعته، والتزام شريعته ظاهراً وباطناً، وإذا فعل ذلك لم يكف في كمال إيمانه حتى يفعل ما أمر به، فهذه الأركان الأربعة هي أركان

الإيمان التي قام عليها بناؤه، وهي ترجع إلى علم وعمل، ويدخل في العمل كف النفس الذي هو متعلق النهي، وكلاهما لا يحصل إلا بالصبر، فصار الإيمان نصفين: أحدهما الصبر، والثاني متولد عنه من العلم والعمل.

❁ ❁ ❁

تبنى دعائم الإيمان

الإيمان مبني على ركنين: يقين وصبر، وهما الركنان المذكوران في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة].

فباليقين يعلم حقيقة الأمر والنهي، والثواب والعقاب، وبالصبر ينفذ ما أمر به، ويكف نفسه عما نهى، ولا يحصل له التصديق بالأمر والنهي أنه من عند الله والثواب والعقاب إلا باليقين.

لا يمكن الدوام على فعل المأمور، وكف النفس عن المحظور إلا بالصبر، فصار الصبر نصف الإيمان، والنصف الثاني الشكر بفعل ما أمر به وبترك ما نهى عنه.

قوة الإقدام وقوة الإحجام

النفس لها قوتان: قوة الإقدام، وقوة الإحجام، وهي دائماً تتردد

بين أحكام هاتين القوتين؛ فتقدم على ما تحبه، وتحجم عن ما تكرهه، والدين كله أقدام وإحجام، إقدام على طاعة الله ﷻ، وإحجام عن معاصي الله، وكل منهما لا يمكن حصوله إلا بالصبر.

تحلى بالرغبة والرهبة

الدين كله رغبة ورهبة، فالمؤمن هو الراغب الراهب قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[الأنبياء90]وفي الدعاء عند النوم، كما صح في الحديث: "اللهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك" (1).

فلا تجد المؤمن أبداً إلا راغباً وراهباً والرهبة، لا تقوم إلا على ساق الصبر، فرهبته تحمله على الصبر ورغبته تقوده إلى الشكر.

أشرف الأقسام وأنفعها

جـميـع ما يبـشره العبد في هذه الدار لا يخرج عما ينفعه في الدنيا

(1) أخرجه البخاري في صحيحه.

والآخرة، أو يضره في الدنيا والآخرة، أو ينفعه في أحد الدارين، ويضره في الأخرى، وأشرف الأقسام أن يفعل ما ينفعه في الآخرة ويترك ما يضره فيها، وهو حقيقة الإيمان؛ ففعل ما ينفعه هو الشكر، وترك ما يضره هو الصبر.

❁ ❁ ❁

أصحاب الجنة في الدنيا

قال تعالى: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) ﴾ [يونس]

وقال تعالى أيضاً ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٦) ﴾ [الأحقاف]

قال: عطاء بن أبي رباح، قال لي ابن عباس ﷺ: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت رسول الله ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها.

من أهل الجنة

عن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار

تنطف لحيته من ماء وضوئه، قد علق نعليه بيده الشمال. فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى. فلما كان اليوم الثالث قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول. فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت إني لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم، قال أنس فكان عبد الله يحدث إن بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئاً، غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى صلاة الفجر، قال: عبد الله غير إني لم أسمعه يقول إلا خيراً. فلما مضت الثلاث الليالي، وكدت أن احتقر عمله، قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعت أنت الثلاث المرات، فأردت أن آوي إليك فأنظر ما عملت فأقتدي بك فلم أر عملت كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ، فقال: ما هو إلا ما رأيت، فلما وليت دعاني فقال: ما

هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، ولا أحسده على شيء أعطاه الله إياه، فقال له عبد الله بن عمرو: هذا الذي بلغت بك وهي التي لا نطيق.

❁ ❁ ❁

التطلع إلى السمو

هناك فئات من الناس ألفوا حياة الغفلة، واستحسنوا طريق الشهوات، فهم لا يبحثون عن التغيير، بل لا يتصورون ترك هذه الحياة التي يعيشونها، ولذلك فإنهم لا يشعرون بألم البعد عن الله ﷻ، وهذا نتيجة تراكم الذنوب على القلب حتى اسود وانتكس.

وما دمت النفس تريد التغيير، وما دامت الروح تتطلع إلى السمو والارتقاء نحو المعالي، فإن ذلك يدل على حياة في القلب وخير في نفس، ولكن التفكير في التغيير المطلوب دون إحداث خطوات عملية نحو التغيير الحقيقي يجعل هذا التفكير مجرد أماني باطلة لا تنفع صاحبها.

طريق الهداية

التفكير في التغيير لا يحصل إلا بالتأمل في عظم الجناية نتيجة الغفلة والإعراض عن الله ﷻ، فيشاهد القلب من خلال هذا

التأمل عظمة الرب سبحانه وتعالى وقوته وجبروته، وأنه خالق هذا العالم، وأنه رازق هذه الكائنات جميعاً، وأنه المحيي المميت الفعال لما يريد، وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له. ويشاهد بعد ذلك ضعف النفس وحقارتها وفقرها، وهو مع ذلك متعد حدود الله ﷻ، بعيد عن سُبل طاعته، والرب مع ذلك يستره ويرحمه ويرزقه ويحلم عليه، ويوضح له طريق الخير ليسلكه، وطريق الشر ليجتنبه، وهذا التأمل ينتفع به القلب أعظم انتفاع، حيث ينزعج من هذا الواقع الذي يعيشه بعيداً عن الله تعالى، ولا يزال يضرب على صاحبه ويحثه على تغيير هذا الواقع والسير في طريق الهداية والاستقامة.

العزيمة الصادقة

عندما يتطلع القلب إلى التغيير لابد من العزيمة الصادقة على هذا التغيير ، لأنه لولا هذه العزيمة سرعان ما يفتر القلب، والعزيمة هي العقد الجازم على المسير في طريق الاستقامة، ومفارقة

كل قاطع ومعوق، ومرافقة كل معين وموصل، فهي سبب في استمرار العمل وانتباه والرغبة في التغيير.

الطريق إلى الطاعة

متى صدق البشر في عزمه على سلوك طريق الطاعة والاستمرار فيه أعانة الله ﷻ، وهي نور يقذفه الله تعالى في القلب يرى به حقيقة الأشياء، ويتخلص بالبصيرة كذلك من الحيرة والشك الذي يقطعه عن السير في طريق الهداية والاستقامة.

❀ ❀ ❀

علامات الفلاح

قرار التوبة والرجوع إلى الله، والبحث عن رضا الله ﷻ هي الرجوع عما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه الله ظاهراً وباطناً، وهي واجبة على الفور، لقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾[النور] ومن ثم يجب الإقلاع عن جميع الذنوب في الحال والندم على الأفعال في الماضي، والعزم على ألاَّ يعاود الذنب في المستقبل.

بداية التغير

البحث عن الحياة الطيبة هي البداية العملية للتغيير، ولا تصح هذه العملية بدون ندم وعزم في جميع مراحل الحياة، فهذا التغير ليس خاص بالعصاة كما يفهم بعض الناس، بل إن النبي ﷺ وهو أطوع الخلق قال: "يا أيها الناس، توبوا إلى ربكم، فو الله إني لأتوب إلى الله تعالى في اليوم مائة مرة". وعملية التغيير لابد أن تسير بخطى

سريعة كما قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾[آل عمران] ولا يجوز في ذلك التراخي أو الانتظار، فمن انتبه من غفلته وأبصر ما هو عليه من ضياع ومخالفة، لابد أن يبدأ فوراً بالتغيير الذي يريد تحقيقه.

المنهج الوسط

عملية التغيير وهي الجانب العملي، لابد أن يرافقها جانب علمي، وهذا الجانب العلمي هو الذي تنضبط به عملية التغيير، فلا تنحرف لا إلى التفريط ولا إلى الإفراط، وإنما تسير على المنهج الوسط الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، قال تعالى في شأن أعظم كلمة وهي كلمة التوحيد: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد: 19]

كل بدعة ضلالة

ليحذر أي إنسان أشد الحذر من أهل الأهواء والبدع، فعليه في باب الاعتقاد أن يعتقد العقيدة الصحيحة، التي لا نجاة للمرء إلا

باعتقادها، وحبذا لو أخذ هذه العقيدة عن أهل العلم المعروفين بالتقوى وحسن المعتقد. والحذر من البدع في العبادات وغيرها، فقد قال رسول الله ﷺ: "كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة".

❀ ❀ ❀

الحياة الطيبة في خوف من الله عَزَّ وَجَلَّ

قال أحد السلف: ما من عبد يعصي إلا استأذن مكانه من الأرض أن يخسف به، واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفاً، فيقول الله عَزَّ وَجَلَّ للأرض والسماء كفا عن عبدي وأمهلاه، فإنكما لم تخلقاه، ولو خلقتماه لرحمتماه، لعله يتوب إلي فأغفر له، لعله يستبدل صالحاً فأبدله حسنات.

فذلك معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَا﴾ ، أي من معاصي العباد.

وقال أيضاً: ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾ [فاطر: 41] أي عن معاصيهم غفوراً لمساوئهم. وقيل في تفسير ذلك، إن الله جَلَّ جَلَالُهُ إذا نظر إلى معاصي العباد غضب فترجف الأرض وتضطرب السماء فتنزل ملائكة السماء فتمسك أطراف الأرضين وتصعد ملائكة الأرضين فتمسك على أطراف السموات، ولا يزالون يقرؤون: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص]، حتى

يسكن غضبه سبحانه وتعالى فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ الآية.

طريق الصادقين

قال بعض العلماء: إذا ضرب الناقوس في الأرض ودعى بدعوة الجاهلية اشتد غضب الرب سبحانه وتعالى، فإذا نظر إلى صبيان المكاتب، ورأى عمار المساجد، وإلى المتحابين في الله أو المتزاورين له، وسمع أصوات المؤذنين حلم وغفر.

فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ ﴾، فإذا أتبع العبد الذنب بالذنب، ولم يجعل بين الذنبين توبة خيف عليه الهلكة، لأن هذه حال المصر، ولأنه قد شرد عن مولاه بترك رجوعه إليه، ودوام مقامه مع النفس على هواه، وهذا مقام المقت في البعد. وأفضل ما يعمله العبد قطع شهوات النفس أحلى ما يكون عنده الهوى، إذ ليس لشهواتها آخر ينتظر كما ليس لبدايتها أول يرتسم، فإن لم يقطع ذلك لم يكن له نهاية، فإن شغل بما يستأنف من مزيد الطاعة ووجد حلاوة العبادة، وإلا أخذ نفسه بالصبر والمجاهدة، فهذا طريق الصادقين.

الاستغفار يطيب العيش

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه ﷻ قال: «إذا أذنب عبدي ذنباً، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال الله ﷻ: أذنب عبدي ذنبا، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال الله تعالى: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك».

. . .

وعن عبد الله بن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أكثر من الاستغفار جعل الله ﷻ له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

. . .

وعن أم عقيل الغنوية، تقول: سمعت عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها تقول: قال رسول الله ﷺ: «من استغفر الله ﷻ في كل يوم

سبعين مرة، لم يكتب في يومه من الغافلين، ومن استغفر الله ﷻ في كل ليلة سبعين مرة، لم يكتب في ليلته من الغافلين».

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم مائة مرة».

. . .

وعن ابن عمر، رضي الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله عليه الصلاة والسلام في المجلس الواحد مائة مرة يقولها قبل أن يقول شيئاً: «رب اغفر لي، وتب علي، إنك أنت التواب الرحيم».

. . .

وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جلس قوم في مجلس فخاضوا في حديث، واستغفروا الله ﷻ قبل أن يتفرقوا، إلا غفر الله لهم ما خاضوا فيه».

. . .

وعن معاذ ﷺ قال: استب رجلان عند النبي ﷺ فغضب أحدهما، فقال النبي ﷺ: «إني أعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم».

حتى تؤتى الأجر العظيم

عليك أن تتناجى بالخير ابتغاء مرضات الله، وعليك أن تأمر بالصدقة والمعروف ابتغاء مرضات الله، وعليك أن تصلح بين الناس ابتغاء مرضات الله ﷻ. ذلك كله حتى تؤتى الأجر العظيم.

ابتغاء وجه الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد]

فاجعل صلاتك لله، ونسكك لله، وحياتك كلها لله، ومماتك لله ﷻ.

إرضاء الناس غاية لا تدرك

قال إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: 162 و163] وإرضاء الناس كلهم غاية لا تدرك، فإنك لا

تكاد ترضي هذا حتى يسخط عليك هذا فاجعل رضا الله عنك مطلبًا لك، ومبتغى تبتغيه، وغاية تنشدها، حتى لا تندم على أفعال الخير، وصنائع المعروف، التي تقدمها للناس وخاصة الجاحدين الذين يجحدون المعروف وينكرون الإحسان ويجعلون إحسانك إليهم جزءًا من الواجب لهم عليك، والحق المقرر لهم عندك.

لا ترض الناس بسخط الله عليك، بل أطع الله فيهم واتق الله فيهم، فإن النبي ﷺ قد قال: «من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله الناس، ومن أسخط الله برضا الناس وكله الله إلى الناس».

قال رسول الله ﷺ: «إنك لن تدع شيئًا اتقاء الله عز وجل إلا أعطاك الله خيرًا منه».

حتى تنجح في تعاملتك مع الناس

على كل إنسان أن يضع الأخوة نصب عينيه عند التعامل مع الناس، عليه أن يضع في الاعتبار أن أهل الإيمان كلهم له إخوان،

وذلك حتى ينجح في تعاملاته معهم، فذلك من أصول النجاح، وقد دلت أدلة لا حصر لها من الكتاب والسنة على هذا الأصل.

❀ ❀ ❀

فألف بين قلوبكم

قال الله تعالى: ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران:103]

وقال ﷻ أيضاً: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات:12]

وقال ﷻ: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: 178]

وقال أيضاً: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة:11]

وقال أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: 10]

كونوا عباد الله إخواناً

قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

وقال ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانًا».

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم».

وقال ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث».

وقال عليه الصلاة والسلام: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة».

وقال ﷺ: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه».

وفي البيوع قال ﷺ: «لا يبع الرجل على بيع أخيه».

❁ ❁ ❁

التزم بالمعاملة الطيبة

للمعاملة بين المؤمنين مستلزمات، منها أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه، فكما يحب لنفسه الربح يحب لأخيه الربح، وكما يحب أن يستر عليه فليحب كذلك أن يستر على أخيه، وكما يدعو لنفسه يدعو لأخيه، وإذا رأى أن يشتد على أخيه فيشتد على أخيه من أجل مصلحة أخيه، ويأخذ على يديه إن رآه يظلم الناس، وغير ذلك.

يسروا ولاتعسروا

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «علموا ويسروا ولا تعسروا، وإذا غضب أحدكم فليسكت».

وعن قيس قال: سمعت جريراً يقول: ما رآني رسول الله ﷺ منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي.

لا تميت قلبك

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا تكثروا الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب».

جزاء الإحسان إلا الإحسان

عن محمد بن الحنفية قال في معنى: "هل جزاء الإحسان إلا الإحسان"، هي مسجلة للبر والفاجر.

خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين

عن عبد الله بن الزبير يقول على المنبر: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف]، قال: والله ما أمر بها أن تؤخذ إلا من أخلاق الناس، والله لآخذنها منهم ما صحبتهم.

من لا يرحم لا يرحم

عن أبي سعيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من لا يرحم لا يرحم».

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا، فليس منا».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا».

❁ ❁ ❁

الأعمال الطيبة

عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد به العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغني، فنزل البئر فملأ خفاه، ثم أمسكها بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له، فغفر له»، قالوا : يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟ قال: «في كل ذات كبد رطبة أجر».

لا تحتقر الأعمال البسيطة

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعاً، فدخلت فيها النار، يقال، والله أعلم: لا أنت أطعمتيها، ولا سقيتيها حين حبستيها، ولا أنت أرسلتيها، فأكلت من خشاش الأرض».

الرفق بكل المخلوقات

عن عبد الله رضي الله عنه، أن النبي ﷺ نزل منزلاً فأخذ رجل بيض حمرة، فجاءت ترف على رأس رسول الله ﷺ فقال: «أيكم فجع هذه ببيضتها؟» فقال رجل: يا رسول الله، أنا أخذت بيضتها، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «اردد، رحمة لها»

لا تباغض ولاتحاسد ولا تدابر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال».

العمل الحسن والكلمة الحسنة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «عليك بالرفق، فإنه لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه».

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا».

وعن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ: «لا عدوى، ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة».

❀ ❀ ❀

إلى أجل قريب

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [المنافقون]

استثمار الوقت في العمل الصالح

يعتبر الوقت رأس مال الإنسان، فهو فترة بقائه في هذه الدنيا، لذلك اعتنى الإسلام بالوقت وجعل المؤمن مسئولاً عن وقته، وأنه سوف يسأل عنه يوم القيامة.

وقد جاءت شرائع الإسلام بحيث تعين الإنسان على ترتيب وقته، وإحسان استغلاله.

وذلك بالموازنة بين حاجاته الحياتية، والمعيشية من جانب وحاجاته الروحية، والعبادية من جانب آخر.

وقد حث الإسلام المؤمن على استثمار وقته وإعماره بالخير والعمل الصالح.

الأسئلة الأربعة

قال رسول الله ﷺ: «لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به».

ساعة وساعة

قال النبي ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ».

وأرشد ﷺ إلى التوازن فقال: «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمي».

وقال ﷺ: "ساعة وساعة".

لا تيأس من فضل الله تعالى

ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن كل شيء بقضاء وقدر.

فما عليك إلا أن تعمل بالأسباب ثم ارض بما قضاه الله ﷻ، ومن رضي فله الرضاء، ومن سخط فله السخط، ولا تيأس من فضل الله تعالى وفتحه، فالله تعالى يقول ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ [الشرح].

في كل خير

الله ﷻ يبتلي عباده لينظر صدق إيمانهم وتوكلهم عليه، وليختبر إيمانهم بالقضاء والقدر وصدق التجائهم إليه عند الشدائد والكرب.

كما يجب عليك أن تتفقد نفسك وتحاسبها، فلعل عندك من الذنوب ما سبب لك هذا.

وعلى العموم، فسواء كان ابتلاءً أو كان عقاباً، فإن في كلٍ خير لأن فيه تكفيراً للذنوب والسيئات لمن صبر ورضي.

اجعل لسانك رطباً بذكر الله ﷻ

عليك بتحصين نفسك بقراءة القرآن، وذكر الله في المناسبات كالصباح والمساء، والنوم والاستيقاظ، والدخول والخروج، واجعل لسانك رطباً بذكر الله، وألح عليه في الدعاء ليفرج كربتك، فما فتح لعبد باب دعاء إلا فتح له باب إجابة. وإياك ثم إياك من القنوط من رحمة الله، فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الخاسرون.

احتساب الثواب

كل ما يصيبك في هذه الدنيا كفارة لذنوبك، إذا قابلت ذلك بالصبر واحتساب الأجر عند الله تعالى، لأن الابتلاء المؤمن بالمصائب لا يتنافى مع تكريم الله له، ولا يتعارض مع ما وعده الله تعالى به من الحياة الطيبة، وكثرة الخير، وذلك لأن ابتلاء الله تعالى

خلقه له حكمة، كما أن إكثار الخير بين أيديهم له حكمة، وحكمة الله لا تتعارض أبداً وإن اختلفت محالها، والله تعالى منزه عن النقص، فقد قال عن نفسه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ [النحل]

❁ ❁ ❁

الحياة لا تكون طيبة بلا سعادة

المصاعب تجملك تعرف قيمة الحياة الطيبة، وهي العيش في طاعة الله، والبعد عن معصيته، لأن ذلك يحقق لك السعادة وانشراح الصدر، والحياة لا تكون طيبة بدون سعادة، ولا سعادة إلا في ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه]

الدنيا لا تصفو لأحد

تأكد أن الدنيا لو كانت تصفو لأحد لصفاها الله لنبيه، ولكنه عليه الصلاة والتسليم كانت حياته مليئة بالمشقة والشدة والبلاء، والذي يطالع سيرته ﷺ يعلم تفاصيل ذلك، ولقد صبر نبينا ﷺ على كل أنواع الابتلاء من الجوع، والإخراج من بلده، والفقر، وغير ذلك رغبة فيما عند الله، لأنه يعلم أن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وأن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم. في هذه الحياة كلنا معرضون لألوان

من الابتلاء والاختبار بخير أو بشر، بخير كالمال، والصحة، ليرى هل تؤدي حق الله فيما أعطيت من مال بأداء ما أوجب الله عليك فيه من إنفاق وغير ذلك. وهل قصرت النفس حال الصحة؟ والابتلاء على المأمورات، وكبح جماحها عن ارتكاب المنكرات. وهل أديت حق الله فيما استخلفت عليه من مصالح المسلمين؟!

الحصول على المثوبة

كما يبتلي الله تعالى عباده بالخير يبتليهم بالشر كالمرض والفقر، وغير ذلك، وليس ذلكم لإهانة أو تعذيب، ولكنه لتقوية الإيمان الحق والحصول على مثوبة الصبر على البلاء كما حصل لنبي الله أيوب عليه السلام من الابتلاء بالمرض الذي بلغ به أن تخلى عنه جميع أهله، وأبينا إبراهيم عليه السلام من تسليط قومه وإلقائهم إياه في النار، ولنبينا محمد ﷺ من الأذى والمضايقة والتآمر ضده.

فأيوب كشف الله ضره، وآتاه أهله، ومثلهم معهم رحمة من الله، وذكرى لأولي الألباب.

وإبراهيم، يقول الله للنار التي أججت لإحراقه: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾. ويجعله أمة يقتدى به، ويجعل له لسان صدق في الآخرين.

❁ ❁ ❁

ما هي إلا برهة حتى يأتي الفرج

اتقي الله وأثبت على إيمانك الذي جاء من عند الله ﷻ، واصبر على ما قد تبتلي به وما كلفت به من الله، وأدي حق الله فيما أعطاك، وولاك، ولا يطغينك عز ورخاء أو صحة وثراء، ولا تضعفنك الأحداث والشدائد والمضايقات فما هي إلا برهة قليلة ثم يأتي فرج الله ونصره ومثوبته لمن قام بأمره، كما جاء لأيوب، وإبراهيم، ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم ممن أبتلو وأوذوا في الله، وستكون العقبى لأتباعهم كما كانت لهم من قبل.

أصحاب الهمم العالية

إنه لا يكفي أن يقول الناس: آمنا ويتركوا لهذه الدعوى، حتى لا يتعرضوا للفتنة فيثبتوا لها ويخرجوا منها، صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم. إن المؤمنين الحقيقيين يعلمون بأن الإيمان ليس مجرد دعوى أو أمنية فحسب، لكنهم يعلمون بأنها حقيقة ذات تكاليف،

وأمانة ذات أعباء، وصبر وتحمل لا يحملها إلا من في قلوبهم تجرد وإخلاص، إنهم يعلمون بأن أثقال الحياة، وصعوبة الطريق، ووعورة المسار، لا يطيق حملها الضعاف المهازيل، لا ينهض بأعبائها إلا العمالة الصابرون، أولو العزم من الناس، أصحاب الهمم العالية.

إن عبء الإيمان لكبير، وإن تكاليفه لشاقة إلا على النفوس المؤمنة بالله إيماناً راسخاً، والمتقبلة لتكاليفه بطواعية، والراغبة فيما عند الله، وما وعد به المؤمنين من نصر وعز في الدنيا، وثواب مضاعف في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة]. ولكنه سهل ويسير على من يسّره الله عليه إنها سهلة على تلك النفوس التي تعرف أن العبء عندما يكون كبيراً، يكون جزاؤه ومثوبته أكبر وأجل عند الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ

﴿أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

كم من محنة تحمل في طياتها منح ورحمات، وكم من بلية يكون بعدها فرج وكرامات، إن المؤمن الواثق بربه، لا يفقد صفاء العقيدة، ونور الإيمان، إن هو فقد من صافيات الدنيا ما فقد، بل يقف أمام كل عاصفة بيقين أرسى من الجبال، وعلم بالله لا يرقى إليه شك.

❁ ❁ ❁

إذا ضاقت بك الأرض بما رحبت

الإنسان الجزوع المتردد الخائف فإن ضعف إيمانه ويقينه، ينفره من الصبر أمام الابتلاءات، ويضيق عليه المسالك إذا نزلت به نازلة، أو حلت به كارثة، ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وتعجل الخروج فيما دخل، متعلقاً بما يضره ولا ينفعه.

إنه لو استشعر قول الله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾ [الروم: 40] استشعاراً حقيقياً، وأيقن بأن الخلق والرزق، والإحياء والإماتة كله بيد الله، ما خاف من أي مخلوق مهما بلغ من عز أو منزلة، لأنه لا أحد يستطيع قطع رزق أو رد مقدور أو انتقاص أجل.

لا تفقد ثقتك بالله عز وجل

من فقد الثقة بربه، اضطربت نفسه، وساء ظنه، وكثرت همومه، وضاقت عليه المسالك، وعجز عن تحمل الشدائد. أما أمر المؤمن

فكله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن، بهذا صح الخبر عن نبينا صلوات الله وسلامه عليه.

فمن هذا كله يجب أن تعرف ما يجب فعله، إنك وأمثالك من المؤمنين في هذه الحياة، معرضون لألوان من الابتلاء بخير أو بشر، بخير كالمال، والصحة، وغير ذلك، وبشر كالمرض والآفات، أما ابتلاء الخير ليرى هل تؤدي حق الله فيما أعطيت من مال بأداء ما أوجب الله عليك فيه؟ وهل قصرت النفس حال الصحة على المأمورات، وكبحت جماحها عن ارتكاب المنكرات؟ وهل أديت حق الله فيما استخلفت عليه من مصالح المسلمين؟!

سنة الله الذي أمضاها في خلقه

قد يصاب الإنسان بأنواع المصائب، إما بنقص في الأموال، وإما بمصائب بدنية، وإما بمصائب عامة أو خاصة، وتلكم المصائب موافقة لحكمة الله، موافقة لقدر الله ﷻ، موافقة لسنة الله التي

أمضاها في خليقته منذ خلق السموات والأرض، ومنذ دب آدم على وجه الأرض، فتارة يكون الذي ابتلي بالمصائب، أو ابتلي بالأمراض، أو ابتلي بالموت، أو ابتلي بالجوع.

* * *

أطيب العيش والأصل الشرعي

هناك ممن ابتلوا بأنواع المصائب، وممن ابتلوا بأنواع المسرات والخيرات، وهذه هي الأصول الشرعية، والحياة الطيبة إن أصابت المصائب المؤمنين فليصبروا وليحتسبوا. ومن هنا لابد من الاعتبار من هذه الأصول وطيب العيش كل بحسب حاله، من كان ذا نعمة فليشكر نعمة الله وليستقم على أمر الله ﷻ، ومن كان ذا مصيبة فليتفكر في نفسه، إن كان مقيماً على الإيمان فليصبر وليحتسب، وليعلم أن ذلك زيادة في إيمانه واختبار لتصديقه ويقينه، ومن كان على ضد ذلك فليعلم أن تلك العقوبة يعاقب بها من خالف أمر الله فيها إما ابتلاء وإما عقوبة.

الشيخ بن عبد العزيز آل شيخ

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

عناصر الكتاب

سلسلة الحياة الطّيبة

دار المواهب

للنشر والتوزيع

04 شارع 05 جويلية حي البرتقال - الرويبة -الجزائر

الهاتف: 95 53 85 021 الفاكس: 15 47 85 021 جوال: 75 21 45 0550

البريد الإلكتروني: bmelmawahib3@gmail.com

978 9947 930 70 0